الفكر الاقتصادي للمدرسة التاريخية في ألمانيا

أولا- نشأة هذا الفكر:

ظهرت هذه المدرسة عام 1840 مع كتابات فريدريك ليست ووليام روشر وانتهت في 1917 مع وفاة جوستاف شمولر، وكما هو الحال مع الاشتراكيين، فان الاقتصاديون التاريخين الألمان كانوا ناقدين للاقتصاد الكلاسيكي. فلم يكن غريبا ظهور أيديولوجية اقتصادية مختلفة في ألمانيا، حيث أن بعض المؤسسات الاقتصادية الرئيسية في ألمانيا كانت تختلف في القرن التاسع عشر عما هو في بريطانيا .

وقد دافعت المدرسة التاريخية عن أسلوب المعيشة الألمانية وقامت بترشيده من خلال التشكيك أو التساؤل حول مدى الملائمة التاريخية للعقائد الاقتصادية الكلاسيكية البريطانية، فقد كانت ألمانيا، التي نشأت بها المدرسة التاريخية ، مجزأة وضعيفة وزراعية بالأساس .

ثانيا - أهم سمات وملامح وملامح هذا الفكر:

مهمة هذه المدرسة قد تمت عندما أصبحت هناك قناعة لدى مختلف الاقتصاديين أن الدارسات التاريخية التجريبية ضرورية لتفسير الحاضر لامتحانات النظريات ولتطوير نظريات جديدة .وإتباع منهج الاستقراء ليكمل منهج الاستنتاج التجريدي . الجدل المنهجي قد أجبر الاثنين على العمل معاءمثلا : التحليل الكمي مع الاختبار التجريبي .

أهم مساهمات هذه المدرسة هو هجومها على دعه يعمل هذا الهجوم توجه للمستقبل. رواد هذه المدرسة تبينوا أن المشروع الحر بدون أي ضوابط ليس بالضرورة يقود إلى أفضل النتائج للمجتمع ككل . وقد كانوا على حق في اعتقادهم أن الإصلاح قد يتحول إلى أضرار جسيمة بسبب إذكاء الفروقات الطبقية .

ثالثا- أهم مبادئ المدرسة التاريخية :

1 . النهج التطوري في دارسة الاقتصاد :

استخدمت منظورا ديناميكيا لدراسة المجتمعات .وركزت علي التراكم التنموي وتماشيا مع النظرية الداروينيه في علم الأحياء فإن النظام الاجتماعي يولد ويتطور نموا وأخيرا يتضاءل ثم يموت. والمجتمع دائم التغير .ولذلك فإن ما يلائم من (المبادئ الاقتصادية)بلدا في وقت معين وقد لا يلائم بلدا آخرا. وقد استغل هذا النهج في الهجوم على الاقتصاد الكلاسيكي على أنه لا يلائم ألمانيا

2 . التأكيد على الدور الايجابي للحكومة:

هذه المدرسة كانت قومية بينما الاقتصاد الكلاسيكي كان فرديا عالميا . وإذا كان النظام الاجتماعي هو مركز الدراسة هو القوة الديناميكية المحركة فإن المجتمع والدولة وليس الفرد يجب أن يحتل الصدارة . .في ألمانيا كانت الدولة هي التي ترعى الصناعة والنقل والنمو الاقتصادي .وفي عملية الدفاع عن وحدة الاقتصاد كان من السهل تطوير الحماس القومي وإعلاء شأن الدولة .هذه المدرسة أعطت أهمية عظيمة لضرورة التدخل الحكومي في الشئون الاقتصادية وأكدت على أن الجماعة لها مصالح خاصة تختلف عن مصالح الفرد.

3 . تأييد الإصلاح المحافظ:

رواد هذه المدرسة يقولون إن يجب أن لا يقتصر على تحليل دوافع الأنشطة الاقتصادية ولكن يجب أن تزن وتقارن الأهلية الأخلاقية لهذه التصرفات وتبعاتها .كما يجب أن تحدد معايير الإنتاج والتوزيع الملائم للثروة لكي يفي بمتطلبات العدل و الأخلاق .هؤلاء الاقتصاديين (التاريخيين) نظروا إلى الدولة الألمانية على أنها يجب العناية بها عن طريق تحسين الظروف للناس بشكل عام .وهذا سوف يقوي الولاء للدولة .بينما الدولة تتكفل بالخدمات الصحية ومستوى عال من المعيشة وتحسين ظروف العمل .ولقد كان أملهم في أن الإصلاح سوف يحول الناس الى الأيديولوجية الاشتراكية .

4 . المنهج الاستقرائي التاريخي :

اقتصاديوا هذه المدرسة ركزوا على أهمية دارسة الاقتصاد تاريخيا كجزء من كل لان الظواهر الاقتصادية والظواهر الاجتماعية الأخرى متشابكة فإن الاقتصاد السياسي لا يمكن دارسته إلا مع الفروع الأخرى للعلوم الاجتماعية .هذه المدرسة انتقدت التجريد، الاستنتاج، التحليل الساكن، والحرية الاقتصادية هذه المدرسة تدعى أن الطريقة التاريخية مكنتها من دارسة جميع القوى حول الظاهرة الاقتصادية وجميع أوجه السلوك الاقتصادي وليس فقط منطقها الاقتصادي .بل أن بعض اقتصادي هذه المدرسة يرفضون تقريبا أي شكل من أشكال التنظير (الاقتصادي). فقد أنكروا وجود أي قانون اقتصادي صحيح أو حقيقي و الاستثناء الوحيد هو أنهم يعتقدون أن نماذج أو مسارات التطور مميزة تاريخيا عن بعضها وأن هذا يمكن تعميمه تحت "قانون التطور".

رابعا- تقييم أفكار المدرسة التاريخية:

لقد أصبحت الطريقة الاستنباطية التاريخية مقبولة بشكل واسع كطريقه مكملة للطريقة الاستنتاجية التجريدية. وينظر البعض إلى إن هجومها علي الحرية الاقتصادية كان مساهمة لهذه المدرسة ،حيث أصبح هذا الموقف اتجاها للمستقبل.

فقد أقر أعضاء هذه المدرسة بأن المنشئات غير الخاضعة للقيود لا تنتج بالضرورة، أفضل النتائج للمجتمع ككل. إلا أن القومية الألمانية التي نادي بها الاقتصاديون التاريخيون قد تجاوزت نفسها كثيرا ،حيث تطورت إلي عسكرية هائجة قادت ألمانيا من خلال حربين عالميتين كما ان بعض المدرسة التاريخية الألمانية في الوقت الذي خدموا أنفسهم، حيث تمتعوا بعلاقات جيدة مع المسؤولين الحكوميين وحصلوا على مواقع راقية في صلاتهم الأكاديمية ،فأنهم خدموا أيضا الحكومة الألمانية الإمبراطورية ، من خلال الدفاع عن دورها في الدولة القومية .

كما أنهم خدموا مجموعات رجال الأعمال وملاك الأراضي ،من خلال دعمهم الإصلاحات المعتدلة والتي أعاقت التوجه نحو الديمقراطية المتطرفة للمجتمع.

خامسا- أهم رواد هذه المدرسة :

فريدريك ليست (1789-1846)

يعتبر من رواد المدرسة التاريخية .فقد نادي بالتجارة الحرة داخل ألمانيا لكنه دعا إلى الحماية من خلال تعرفه جمركيه مرتفعة ضد المستوردات من السلع المصنعة وذلك لحماية المحلية الناشئة .

إن هذه الفكرة والتي تؤيد الحماية الجمركية فقد عرفت فيما بعد الصناعة الناشئة فقد عارض حماية الزراعة لأنها كانت تعتبر صناعه قديمة وناضجة ولأن الصناعة تطلبت مواد الخام زراعية رخيصة و أن العمال يحتاجون إلي مواد غذائية رخيصة .

ويلهلم روشر (1817_1894)

كان واحدا من مؤسسي المدرسة التاريخية الأقدم ،ورغم انه رفض الاقتصاد الكلاسيكي لكنه مع ذلك عمل على بناء تلك الأفكار .ويقول بأن المعرفة التي تحصل عليها من استخدام الطريقة التاريخية تستغني عن الشعور بالاكتفاء الذاتي .وقد أوضح ميله وقربه من النظرية من خلال تضمين شكل مبسط من نظرية السعر الكلاسيكية الإنجليزية في كتابة (مبادئ الاقتصاد السياسي).

غوستاف شمولر (1838_1917)

يعتبر من القياديين في المدرسة التاريخية الأحدث. وكان من المؤسسين (الرابطة السياسية الاجتماعية) وان مثل هذا التنظيم يؤيد التشريعات الاجتماعية وساعد في تشجيع فكره توسيع النشاط الحكومي في القضايا الاقتصادية الاجتماعية . ويعتقد بأن تجميع المعلومات الوصفية والواقعية هو أكثر أهمية من التنظيم الارستقراطي .ويعتقد أيضا بأن أصل العمليات الاقتصادية يضيع حلما يتم عزلة وتجزئته ولهذا فقد أراد أن يطور الاقتصاد على أساس المقالات التاريخية .

ماكس فيبر (1864_1920)

لقد آثار جدلا حول العلاقة بين البروتستانتية وظهور الرأسمالية، ويبدو له بان الرأسمالية كانت نتيجة وليست سببا لحركه الإصلاح الديني إلا أن (R.H tawney) وآخرين عارضوا تحليلات فيبر وذلك لان الدين الحال قد ترك تأثيرا علي نظره الناس حول المجتمع. إلا أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية هي الأخرى قد أثرت بقوه علي الدين.